

ميراث شهر رمضان



إنَّ إرثنا من شهر رمضان، ينبغي أن يكون بأن نحافظ على مكتسباته، وعلى أجوائه الروحية والعبادية والقيم التي زرعها فينا، أن لا نقطع تواصلنا مع القرآن الذي حرصنا في هذا الشهر على أن نختمه مرّات عديدة، أن لا نهجره ولا نقليه، بل أن نستمرّ، وكما كنّا في شهر رمضان، في تلاوته وحفظه وفهمه وتدارسه، وإن لم يكن بالقدر ذاته. وميراث آخر من شهر رمضان، في أن نحافظ على الأجواء الروحية والإيمانية التي حرصنا عليها في هذا الشهر، بأن نذكر الله في السرّ والعلن، وفي آناء الليل وأطراف النهار، وفي الدُّعاء وأداء الصلوات بأوقاتها، والاهتمام بصلاة الليل وأداء النوافل. ميراث شهر رمضان، بأن نستمرّ ببسط أيدينا بالعطاء والصدقات لعباد الله، أن نبحث عنهم، فلا ننتظر أن يأتوا إلينا ليبدلوا ماء وجوههم حتى نغدق عليهم من عطائنا، فمن صام، لا بدّ من أن يتعالى عن أنانيّته، ويخرج من شرقة ذاته، ليصبح عبداً باراً، ولا يوجد برّ بلا تواصل وبلا تراحم.

ويبقى من ميراث شهر رمضان، أن نصوم بعده، لكن ليس الصيام عن الطعام والشراب، بل عن كلّ حرام وقبيح من القول والفعل، وكلّ خلق سيّئ. فبعد شهر رمضان، نعود إلى الطعام والشراب، لبدأ هذا النوع من الصيام، وأن نتابع تواصلنا مع أرحامنا ومع جيراننا. إذاً، لا بدّ من أن نتابع ما بدأناه

في هذا الشهر في بقيّة الشهور، ف شهر رمضان لم يردّه إلا سبحانه أن يكون مجرد شهر من الشهور، بل هو سيّد الشهور، وسيّد الأيام والليالي، ولا بدّ من أن تنعكس قيمه على بقيّة الشهور والأيّام. وبعد ذلك، أن ندرس مدى انسجامنا مع الهدف الذي من أجله كان رمضان، ف شهر رمضان هو شهر التغيير، هو شهر إعادة صياغة شخصيّتنا على الصورة التي يريدها الله سبحانه.

لقد كان القرآن واضحاً في دلّالته، عندما بيّن الصورة التي لا بدّ من أن نتّصف بها حتى نكتب عند الله من الصائمين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/ 183) وأمّا كيف يعرف الإنسان نفسه؛ هل بلغ درجة التقوى أم لا؟ فهو يتحقّق بطريقتين:

الطريقة الأولى، هي بأنّ يعرض نفسه على الآيات والأحاديث التي تحدّثت عن المتقين وبيّنت صفاتهم، للتأكّد من اشتماله على هذه الصفات. من هذه الآيات الكريمة: (إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ) (الذاريات/ 5) وفي جَنَدَاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ * رَبِّهِمْ * إِن زَّهَّوْا كَانُوا قَبِيلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّائِلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات/ 19-15). ومن الأحاديث الشريفة التي تحدّثت عن صفات المتقين: «لا يكون العبد مؤمناً، حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه»، «لا يكون الرجلُ تقياً، حتى يُحاسبَ نفسه مُحاسبةَ شريكه، وحتى يَعْلَمَ من أين مَلَبَسُهُ، ومَطْعَمُهُ، ومَشْرَبُهُ». ومن الحديث: «أنّ أهل التقوى أيسر أهل الدُّنيا مؤونةً، وأكثرهم لك معونةً، تذكّر فيعينونك، وإن نسيت ذكرك، قوّالون بأمر الله، قوّامون على أمر الله، قطعوا محبّتهم بمحبّة ربّهم، ووحشوا الدُّنيا لطاعة مليكهم، ونظروا إلى الله عزّ وجلّ وإلى محبّته بقلوبهم، وعلموا أنّ ذلك هو المنظور إليه، لعظيم شأنه». والطريقة الأخرى لتأكيد آثار شهر رمضان في نفوسنا، هي قياس مدى قربنا أو بعدنا عن الصفة التي تقابل التقوى، أي الفجور، وقد ورد: «فإنّ الناس اثنان: برٌّ تقيٌّ، وآخر فاجرٌ شقيٌّ».